الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر 1830-(1)-

مقدمـة:

ساءت أوضاع الجزائر الداخلية خلال العقدين الأوليين من القرن19،و اشتدت الضغوطات الأجنبية عليها،على رأسها فرنسا التي لم تتوان في استغلال تلك الظروف لتحقيق أطماعها الإستعمارية في الجزائر،من خلال شنها حملة عسكرية عليها سنة 1830.فماهي الدوافع الحقيقية لهذه الحملة؟و المواقف الدولية و الإقليمية منها؟و تداعياتها على الجزائر؟

1- المشاريع الفرنسية لإحتلال الجزائر:

أظهرت فرنسا رغبة جامحة في احتلال الجزائر خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن 19م،من خلال وضعها لمجموعة من المشاريع الاستعمارية المستهدفة للجزائر عن طريق جواسيسها من قناصل و موظفين و أسرى مسيحيين ،و قد شجعتها على ذلك عوامل، منها، تراجع القوة البحرية الجزائرية،و اشتداد التنافس الأوروبي و الأمريكي حول سواحل شمال إفريقيا لإيجاد مناطق نفوذ **بها.**

و يمكن أن نذكر على سبيل المثال-لا الحصر- أهم هذه المشاريع التي أعدت لإحتلال الجزائر كالأتي:

1.1. مشروع القنصل الفرنسي دو كارسيDe Kercy -1791

تضمن معطيات في غاية الأهمية تتعلق أساسا بتحصينات مدينة الجزائر و سلاح مدفعيتها، و قوة الجزائر العسكرية من حيث عدد قواتها البرية و البحرية إلا فرنسا لم تتمكن من تنفيذ المشروع لإنشغالها بأحداث ثورتها المندلعة منذ سنة 1789،و بسبب علاقة الود التي كانت تجمعها بالجزائر،سيما و أن هذه الأخيرة دعمتها ماليا و غذائيا في ظل الحصار الذي ضرب عليها من قبل جيرانها الأوروبيين، الذين هددتهم أفكار الثورة الفرنسية و انجازاتها السياسية.

2.1.مشروع فيليب لوماي.Francois Philipe Le Maye -1800

تضمن هذا المشروع المنجز من طرف لوماي-أحد الأسرى المسيحيين بالجزائر- معلومات قيمة حول الجزائر،لاسيما من الناحية العسكرية،حيث أشار إلى عدد القوات العسكرية البحرية و البرية و التحصينات التي توفرت عليها الجزائر،و مقترحا الخطة العسكرية الممكنة للاستيلاء على مدينة الجزائر،المرتكزة أساسا على النزول السريع و المفاجيء في شرق المدينة و غربها، و إنهاء الحرب في مدة لا تتجاوز 24 ساعة،و مؤكدا على الفوائد المالية و الاقتصادية التي ستنجيها فرنسا من وراء احتلالها للجزائر.

3.1.مشروع ديبوا تانفيل -Dubois-Thainville-1801

درس صاحب هذا المشروع-قنصل فرنسا- مختلف الجوانب المتعلقة بالإيالة الجزائرية،و بين فيه أيضا نفوذ اليهود في الإيالة،و معطيات أخرى تتعلق بالأسطول البحري الجزائري وأهمية الجيش البري(الإنكشاري).كما عرف على ديبوا تحمسه الشديد لإرسال الحملة الفرنسية إلى الجزائر ،رغم أنه لم يشر في مشروعه إلى الخطة العسكرية التي تمكن فرنسا من الإنزال العسكري بالجزائر.

4.1.مشروع الضابط الفرنسي بيير هولانP.HOLANE-1802

شمل معلومات خاصة بعدد سكان مدينة الجزائر و عدد قواتها العسكرية البرية و البحرية و سلاح المدفعية التي توفر عليها الأسطول البحري الجزائر،ومؤكدا على نقص سلاح مدفعية لدى الجيش الجزائري

5.1.مشروع تيدانا-1802-thedaenat

اقترح تيدانا(فرنسي وقع في الأسر من قبل البحارة الجزائريين سنة 1779،و بعد إطلاق سراحه،انتقل إلى فرنسا،ثم عين في نهاية القرن 18م(1799) نائبا مفوضا للعلاقات التجارية) في مشروعه هذا خطته العسكرية القائمة على انزال الحملة الفرنسية بنواحي مدينة تنس،ثم تزحف قواتها نحو مدينة الجزائر عبر سهل و مرتفعات مليانة.

6.1.مشروع الضابط المهندس بوتان-BOUTIN-1808

كان نابليون بونابرت من أشد حكام فرنسا الطموحين إلى السيطرة على البحر المتوسط و جعله((بحيرة فرنسية))،و لتحقيق ذلك أخذ يخطط خلال العقد الأول من القرن 19 للقيام بحملة عسكرية تستهدف احتلال جميع أقطار المغرب العربي و إلحاقها بإمبراطوريته الاستعمارية في البحر المتوسط،و لتجسيد هذا المشروع راهن على الجواسيس لجمع المعلومات اللازمة حول الجزائر، و كان على رأسهم الضابط المهندس بوتان الذي أرسل إلى الجزائر ،و حل بها في 24 ماي 1808 بهدف إعداد خطة عسكرية محكمة تمكن فرنسا من غزو الجزائر عسكريا، و استمر تواجده بها إلى غاية 17 جويلية من نفس السنة، و هي المدة الكافية التي ساعدته على التجسس و جمع معلومات مهمة حول البلاد ونجاز خرائط و رسومات موضحا عليها تحصينات مدينة الجزائر، اقترح هذا الأخير في خطته العسكرية أن يكون إنزال الحملة الفرنسية بمنطقة سيدي فرج لخلوها من المدافع و الجنود، و أن يتم تنفيذ الحملة ما بين شهري ماي و جوان ، و في مدة زمنية قصيرة بحيث لا تتعدى شهرا.لكن انشغال نابليون بونابرت بحروبه التوسعية في أوروبا حال دون تنفيذ هذا المشروع في وقته المحدد ،ليتأجل بذلك إلى سنة 1830

7.1.مشروع محمد علي-1829:

في سنة 1826 اقترح دروفتي DROVETI القنصل الفرنسي بمصر على الحكومة الفرنسية تكليف محمد علي حاكم مصر القيام بحملة عسكرية ضد الأيالات

المغاربية(الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) ، بينما تكتفي فرنسا بدعمه ماليا و دبلوماسيا، و قد رفض محمد علي في باديء الأمر هذا المشروع لتركيز طموحاته التوسعية في سوريا، ثم قبل به بعدما أقنعه القنصل الفرنسي بالفوائد التي سيجنيه من وراء هذا المشروع، الذي لم تستجيب له الحكومة الفرنسية لتخوفها من التداعيات التي قد تترتب عنه مستقبلا.

و في سنة 1829 أعاد دروفتي طرح مشروعه من جديد على الحكومة الفرنسية و حاول إقناعها بالفوائد التي ستحققها من وراء تجسيده ميدانيا، و هو ما جعل بولينياك رئيس وزراء فرنسا يرحب بالمشروع، وقام في هذا الصدد بتوجيه مذكرة إلى المجلس الملكي الفرنسي خلال شهر سبتمبر 1829، بين فيها فوائد المشروع المشترك بين فرنسا و مصر.

و في الأخير مني المشروع بالفشل، بسبب وقوف بريطانيا ضده،بل هددت بقصف الأسطول المصري بمجرد خروجه من ميناء الإسكندرية و إبعاد محمد علي عن الحكم،إضافة إلى أن هذا الأخير رفض التعديلات الفرنسية التي طرأت على المشروع، و المتمثلة في اكتفاء محمد علي بالسيطرة على تونس و طرابلس الغرب،و ترك الجزائر لفرنسا، كما وقفت ضد المشروع كلا من الدولة العثمانية و روسيا و النمسا.

بعدما أجهض هذا المشروع، قررت فرنسا الاعتماد على نفسها في غزو الجزائر عسكريا.فكيف تهيأت لها الظروف؟

2-حادثة المروحة 1827 و تداعياتها على العلاقات الجزائرية الفرنسية

عندما تولى الداي حسين حكم أيالة الجزائر سنة 1818،طلب من فرنسا بتصفية الديون الجزائرية التي في ذمتها،و المقدرة في سنة 1819 بحوالي سبعة ملايين فرنك،وراسل حكومتها حول هذه القضية،إلا أن هذه الأخيرة ظلت تتماطل، و لم يتوان الداي في اتهام بيير دوفال Duval-القنصل الفرنسي بالجزائر، شخصية مريبة، و من المتحمسين لاحتلال الجزائر –بإخفاء رد فرنسا عنه ، و التآمر رفقة تجار يهود الجزائر ضده و في صبيحة عيد الفطر المصادف ليوم 29 أفريل 1827، تقدم القنصل دوفال كغيره من القناصل الأجانب لتهنئة الداي بهذه المناسبة المباركة ، و دار الحديث بينهما حول عدم الرد الفرنسي حول رسائل الداي المتعلقة بالديون الجزائرية،فكان "رد القنصل غامضا و لعله كان مهينا" ، و جاء في بعض المصادر(المرآة لـ:حمدان بن عثمان خوجة)،أن هذا الأخير رد على الداي قائلا:"إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم" ، فأغتاظ الداي لذلك، و ضربه بمروحته الشهيرة.

اعتبرت فرنسا الحادثة بمثابة إهانة لشرفها و كرامتها،لذلك راحت تضغط على الجزائر و تهددها، عن طريق إرسال قطعة بحرية حربية من أسطولها(ضمت حوالي ست بوارج حربية) بقيادة الضابط ((كوليColl et))،التي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 1827/06/12 ،و حمل هذا الأخير إنذار فرنسا إلى الداي ،طالبه من خلاله ضرورة الاستجابة للشروط الفرنسية و المتمثلة في :

1-أن يرسل وفدا من من كبار الموظفين برئاسة وزير البحرية(وكيل الخرج) إلى السفينة الفرنسية((لابروفانسProvence)) لتقديم اعتذارات الداي الى القنصل دوفال

2-رفع الراية الفرنسية على القلاع الجزائرية و قصر الداي و الميناء

3-إطلاق مائة طلقة مدفعية تحية للراية الفرنسية.

و قد طلب كولي من الداي بتنفيذ هذه المطالب في ظرف 24 ساعة ، و في حالة رفضه سيواجه مصيرا لا يحمد عقباه. وكان من الطبيعي أن يديرا هذا الأخير ظهره لهذه المطالب المجحفة والمهينة ، بل استهزئ بها، بقوله ((أتعجب لم يبق للفرنسيين إلا أن يطلبوا إمرأتي)). و أمام الموقف المتصلب الذي أبداه الداي،أعلن الضابط كولي الحصار على الجزائر في 16 جوان 1827. ،و ظهرت بذلك العمارة البحرية الفرنسية تهدد السواحل الجزائر بداية من هذا التاريخ.